

نظرية الأوهام بين فرنسيس بيكون ومفكري الإسلام

إسماعيل سالم فرحات *

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة مصراتة، مصراتة، ليبيا

* البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): ismailsalem980@gmail.com

The Theory of Idols Between Francis Bacon and Islamic Thinkers

Ismail Salem Farhat *

Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Misrata, Misrata, Libya

Received: 16-03-2025; Accepted: 16-05-2025; Published: 28-05-2025

الملخص:

يتناول بحثنا هذا نظرية الأوهام عند فرنسيس بيكون ومقارنتها بنظرية علماء الإسلام حول العوائق التي تؤثر على العقل في طريقة الوصول إلى المعرفة. وسوف نسلط الضوء على أوجه التشابه والاختلاف بين المنهجين، وسوف نوضح مدى سبق الفكر الإسلامي في تحليل أوهام التي تجعل العقل يقع في الخطأ، باستخدام المنهج التحليلي النقدي المقارن.

الكلمات المفتاحية: أوهام، منهج، معرفة، نظرية.

Abstract:

This study examines Francis Bacon's theory of idols and compares it with Islamic scholar's views on cognitive obstacles affecting knowledge. It highlights similarities and differences between the two approaches, demonstrating the precedence of Islamic thought in analyzing intellectual illusions, using a critical and analytical comparative methodology.

Keywords: Idols; Method; Knowledge; Theory.

المقدمة:

تعد نظرية الأوهام عند فرنسيس بيكون ذات أهمية كبيرة في تاريخ الفلسفة الحديثة، حيث قدم بيكون منهجاً نقدياً يستهدف تصحيح مسار المعرفة الإنسانية عبر الكشف عن العوائق الذهنية أو الأوهام التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة وقد قسم هذه الأوهام إلى أربعة أصناف رئيسية: أوهام القبيلة، وأوهام الكهف، وأوهام السوق، وأوهام المسرح، معتبراً أنها تشوش عملية التفكير وتضلّل العقل وتجعله يقع في الخطأ ولا يصل إلى الحقيقة، وتؤثر على استنتاجاته واستنتاجاته.

إشكالية البحث:

تكمّن إشكالية البحث في مدى تقاطع نظرية الأوهام عند بيكون مع التراث الفكري والفلسفي الإسلامي، إذ نجد أن علماء الإسلام سبقوا في معالجة العديد من هذه الأوهام ضمن سياقات مختلفة، سواء في مجال علم المنطق، أو علم الكلام، أو علم الأصول وعلم الفقه، أو العلم الحديث، أو الفلسفة الإسلامية عموماً. فهل

كان لعلماء الإسلام رؤية مماثلة لنظرية بيكون حول الأوهام الفكرية؟ وهل يمكن اعتبار الفكر الإسلامي قد وضع أسساً مشابهة لتحليل العوائق الذهنية والمعرفية التي تواجه الإنسان في رحلته نحو الحقيقة؟
أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على أحد الجوانب النقدية في الفكر الفلسفي الإسلامي ومقارنته بأحد أبرز المشاريع الفلسفية الحديثة، مما يساهم في إعادة قراءة التراث الفلسفي الإسلامي في ضوء المفاهيم المعاصرة. كما يساعد البحث في إبراز مدى أصالة الفكر الإسلامي في تحليل العوامل التي تؤثر على المعرفة البشرية قبل ظهور الفلسفة الحديثة.

أهداف البحث:

- 1_ تحليل نظرية الأوهام عند فرنسيس بيكون واستكشاف بنيتها الفلسفية.
- 2_ دراسة مواقف علماء الإسلام من الأوهام الفكرية والمعرفية في مختلف الميادين.
- 3_ إجراء مقارنة نقدية بين رؤية بيكون والعلماء المسلمين في معالجة هذه الأوهام.
- 4_ إبراز مدى تأثير الفكر الإسلامي على التوجهات النقدية في الفلسفة الحديثة.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي المقارن، حيث يتم تحليل نصوص بيكون ونظريته حول الأوهام، ومقارنتها بأراء علماء الإسلام الذين تناولوا العوائق الذهنية والمعرفية، مع توظيف المنهج التاريخي لاستكشاف مدى التقاطع أو الاختلاف بين الرؤيتين.

تقسيم البحث:

يتم تقسيم البحث وفقاً لتصنيف الأوهام الأربعة عند بيكون، مع دراسة كل نوع منها في ضوء الفكر الإسلامي، ثم تقديم تحليل نقدي مقارن يبرز أوجه التشابه والاختلاف بين المنهجين.

تمهيد:

تعد نظرية الأوهام هي الجانب السلبي في منهج فرنسيس بيكون الذي حاول من خلالها تحرير العقل من جميع العوائق التي تجعله أسيراً وعاجزاً، و تمنعه من الوصول إلى أية معرفة مفيدة للإنسان في مواجهة الطبيعة والكشف عن أغوارها وأسرارها. وهذا ما جعل الكثير من الفلاسفة والعلماء يعتبرونها أهم جزء في منهج فرنسيس بيكون على أساس أن الجانب الإيجابي (التجربة والاستقراء) كان معروف و متداول من عصر اليونان وبخاصة عند أرسطو الذي ذكره في كتبه و ميز بين نوعيه (الاستقراء التام والناقص) ولكن ما لا يعلمه الكثير من الفلاسفة والعلماء الأوروبيون والعرب المسلمون المعاصرون عن علم أو عن غير علم ،هو أن الفلاسفة والعلماء العرب المسلمين الأوائل إبان عصور النهضة الإسلامية و بينما كانت أوروبا تغرق في ظلام دامس ، تكلم فلاسفة الإسلام عن نظرية الأوهام بشكل مستفيض مباشر أو غير مباشر وبشكل مفصل ودقيق إلا أن ما كتبوه لم يأخذ حقه من الاهتمام والدراسة .وهنا سوف نحاول تناول نظرية الأوهام

أو نظرية الأصنام عند فرنسيس بيكون و ما قاله فلاسفة و علماء الإسلام بشكل يوضح دور كل منهما ،
ونكشف حقيقة هذه النظرية و جذورها التاريخية .

أولاً: أوهام القبيلة:

يرى فرنسيس بيكون أن أوهام القبيلة هي أخطاء تنتج عن الطبيعة البشرية مباشرة . إن تفكيرنا يتأثر خطأً بشخصياتنا ورغباتنا وانفعالاتنا . وهذا ماجرت عليه العادة في استقبلنا للحوادث و الانطباعات عن الأشياء ، فنظل مقيدين مسبقاً بآراء تأتي من خبراتنا السابقة .والإنسان عادة يستسيغ ما كان يؤمن به مسبقاً .إننا نرفض الأفكار والخبرات الجديدة لأن أسلوب انفعالاتنا يؤثر في فهمنا ويحرفه .يستقبل العقل هذه الأشياء التي توثر فيه ويقودنا الرأي المستساغ إلى قبول تلك الحقائق وحدها التي تظهر أنها داعمة له.¹

لذا نبه فرنسيس بيكون لخطورة هذا النوع من الأوهام ، لأنه متأصل في النفس الإنسانية ، ومنغرس في أعماق طبيعتها ،وهي تشمل جميع البشر دون استثناء ، وقد تحدث عنها بيكون في كتابه "الأورجانون الجديد" فيقول " إن أوهام القبيلة تنغرس في عمق الطبيعة البشرية نفسها ، وهي تخص النوع الإنساني كله ، لأنها كامنة في تركيب العقل البشري ومتأصلة فيه ، فالحواس البشرية التي تتخذ الأشياء مقياساً لها جميعاً ، معرضة للخطأ ومن ثم فإن كل تصوراتنا التي يحدثها الإحساس تكون خاطئة ، لأن العقل الإنساني ناقص وكذا فهو يتوهم أشياء لا أساس لها مجرد أنها صادفت هوى أو رغبة خاصة وهو أشبه بمرآة غير مصقولة تضيف خصائصها الخاصة على الأشياء وتشوه صورتها ، وهكذا يضيف العقل على الأشياء ترتيباً ونظاماً يلائم طبيعته الخاصة ولكنه غير موجود في الأشياء ذاتها " ²

وعلى ذلك فمثل هذا النوع من الأخطاء يحدث للإنسان ويمتلكه بصورة كلية في حياته، ومن أمثله التي تبين لنا أن أوهام القبيلة هي قوة فعاليتها الطبيعية البشرية ، و أداتها هو الإنسان بكل كيانه ،وهي في الوقت نفسه تتطوي على المغالطة والتناقض نتيجة للتسرع في الأحكام ،أو التعميم بما يناسب أهواء البشر ، أو بلادة الحواس وخطئها ، هي : التسرع في إصدار الأحكام ، وإسقاط رغبات الإنسان وميوله علي الطبيعة ، كالميل إلي تفسير الظواهر جميعاً بمجموعه من المبادئ أو القوانين الثابتة ، وإهمال الكثير من التفاصيل الدقيقة المهمة في تشكيل الواقع الخارجي ، والتي قد تكون تشكلت تشكيلاً مغايراً لما نعرفه وندركه ، لان الطبيعة البشرية تحكمها الكثير من الأحاسيس والعواطف التي تمنع العقل من تحديد نتائجه بأي شكل ما دام أسيراً للمتناقضات التي تكبله وتجعله ينظر إلي الطبيعة وقوانينها ، بحسب قوانين ثابتة يضعها ، ثم

¹ جون ماكليش : من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر ، ترجمة : خضر الاحمد ، موفق دعبول ، مراجعة: عطية عاشور ،سلسلة عالم المعرفة، العدد 251، 1999 ، ص 186.

² Francis Bacon : Novum organum , Edited By , Peter Urbach , And John Gibson ,Chicago And La Salle , Minos, 1994, P : 53

يتصور أنه حاصل علي المعرفة اليقينية ، وهو في الحقيقة ينقاد نحو الخطأ ، نتيجة ميوله العاطفي ، وأحاسيسه الخادعة ، ويقول فرنسيس بيكون في هذا " إن العقل يميل إلي الإرادة والعواطف ... وهي تبلغ أعماق الطبيعة فتجلب لأفكارنا بعض الخرافات ، والتكبر والفخر ، وكذلك المتناقضات ، والخوف نتيجة الآراء التي أفاق عليها الإنسان ، وتشبع بها عقله ، وكذلك ميل العقل بطبيعته إلي التجريد والتعميم ، والقفز إلي الأحكام العامة ، وذلك علي أساس أن الإنسان هو مقياس جميع الأشياء ، فالعقل البشري المشوش بهذه الأوهام هو مثل المرآة غير المستوية ، تعكس خواصها علي الموضوعات التي تصدر عنها الأشعة ، فتشوشها وتغير من شكلها.¹

ويمكننا أن نقول إن بيكون في حديثه عن أوهام القبيلة قد تأثر بالفكر اليوناني، والإسلامي، حيث نجد أنه تأثر بفلاسفة اليونان وبخاصة جماعة السفسطائيين الذين شكوا في المعرفة وقالوا بنسبيتها، فلا توجد حقيقة مطلقة نظراً لاختلاف وتعدد وجهات نظر البشر، وقد نحا بيكون نحوهم في اعتقاده أن "أوهام القبيلة تعود الذهن البحث عن العلل الغائبة ذات المصدر الإنساني، وهي ترتكب الخطأ حين يسقطها على الطبيعة، وعليه فلا يوجد معيار للحكم سواء بالصواب أو بالخطأ ما دامت المعرفة قائمة على هذا الإدراك الحسي المتغير، بل إنه طالما أن الإنسان يرتكن وراء ذاتيته أو اعتقاده الخاص فإنه لا يجد اليقين التام لأن معيار الحقيقة هنا يغيب باختلاف وجهات النظر المتعددة وهذا ما قال به عزمي إسلام"، ومعنى ذلك أن الشك عند كل من السفسطائيين وبيكون اعتماداً على مبدأ التناقض الموجود في صورة غامضة ومشوشة، حيث كان يمكن وفقاً لأوهام القبيلة إثبات الشيء ونقيضه في وقت واحد، وذلك بالاعتماد على مبدأ المغالطة، وهذا هو أهم مبادئ الشك السوفسطائي².

كما تأثر فرنسيس بيكون أيضاً بمفكري الإسلام خصوصاً عند إخوان الصفا، فهم يرون أن هذا النوع من الأوهام هو أكثر الأخطاء التي يقع فيها الإنسان، وهي تأتي من الطبيعة المتسارعة وميل العقل إلى التعميم، فالباحث عندما يدرس ظاهرة من الظواهر يتفحص بعض جزئياتها ثم يتسرع ويصوغ قانوناً كلياً معتقداً أن ذلك الحكم ينطبق على جميع الظواهر، كما أنه يقيم استدلالاته علي آراء متناقضة ، يقول إخوان الصفا " فمن تلك الآفات الهوى الغالب نحو شيء ما ، والعجب المفرط من المرء برأي نفسه، والكبر المانع من قبول الحق، والحسد الدائم للأقران وأبناء جنسه، والحرص الشديد على طلب الشهوات ،والعجلة وقلة التثبت في الأمور، ومشاكل هذه الآفات العارضة للعقل، المضللة له ... المانعة عن الانتفاع بفضائل العقل ومنافعه ... والأفضلية أحسن من الرياسة في العقلاء لذوي السياسات والتدبير".³

¹ حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ،"مقتطفات من الأورجانون الجديد" ، دار الثقافة، القاهرة، 1981. ص 56 - 58.

² عزمي إسلام : مقدمه لفلسفة العلوم ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، 1977م ، ص83

³ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا ، الرياضيات الفلسفيات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1996، م 3 ، ص518.

كما أشار لها أيضا "الحسن بن الهيثم" في كتابه "الشكوك على بطليموس" بقوله "يقول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلته بضروب الخل والنقصان" ¹ ، ونفهم من هذا النص أن الإنسان قد جبل بطبيعته على الزلل والنقصان ما يبعده عن الحقيقة، فعلى الإنسان أن يحاول أن يتخلص من هذا النقص، بالاعتماد على التجربة ، وأن يجعلها معيارا للحقيقة ².

وها هو الغزالي يحدثنا عن أوهام القبيلة وذلك في معرض حديثه عن نقد المعرفة الحسية المتمثلة في إدراك العينان الشمس والقمر على نحو مغاير تماما لحجمها الحقيقي ³ ومن أقواله في هذا السياق "من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدرج ذرة ذرة، حتى لم تكن له حالة وقوف. وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار، هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته. فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا" ⁴

ثانياً: أوهام الكهف:

أوهام الكهف هي أخطاء تنشأ عن طبيعتنا الفردية وعن ثقافتنا وعن المحيط. إننا جميعا معزولون أو مغلقون في كهف تصنعه خصوصياتنا الفردية. فكل واحد منا تنتابه الخواطر بطريقة معينة ومفاهيم وافتراسات مسبقة معينة. ونحن نقوم بتركيب ما نعتقد لينتج عن ذلك كيان معرفي كامل مرتكز على المقدمات. وقد استشهد بكون بأرسطو فوصفه بأنه مؤسس لفلسفة « كاملة » تعتمد على الاستنتاج من بعض فئات التجربة. وارتكب أخطاء مشابهة أولئك الذين اختاروا « اكتشافاً » خاصاً ووصفوه بأنه جاء عن طريقة الحكمة والعقل متجاهلاً ما أثبتته الخصوم أو المفكرون في أزمان أخرى. ومن جهة ثانية يدرس بعض الباحثين الطبيعة بكليتها في حين يجزئها البعض الآخر. ومهما كان الأمر فإن الأسلوب الأفضل علمياً هو تركيب هاتين التقنيتين للتحليل والتركيب في تقنية واحدة هي تحليل التجربة. ⁵

ويتحدث بكون عن طبيعة هذه الأوام فيقول " إن لكل إنسان كهفه الخاص به والذي يعترض ويشوه نور الطبيعة الواصلة إليه فكل واحد منا يعمل ويميل إلى تفسير ما يتعلمه على ضوء مزاجه أو ما يهواه من أراء ونظريات أو من الانطباعات المختلفة عن الأشياء، ولذا فهذه الأخطاء تصيب العقل الإنساني والروح الفردية، وهي دائما تسبب اضطراب الطبيعة فهي فردية وليست جماعية، وهي خاصة بالإنسان الفرد حيث تنشأ عن طبيعته الناقصة المعيبة، فكل إنسان بالإضافة إلى الأخطاء المشتركة بين الناس والخاصة

¹ الحسن ابن الهيثم ، الشكوك على بطليموس، تحقيق: عبدالحميد صبره، تصدير: إبراهيم مذكور، دار الكتاب المصرية، القاهرة، دت ، ص 4 .

² المرجع نفسه : ص 4 . 6.

³ أبو حامد الغزالي: معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1961، ص 62.

⁴ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: عبدالحليم محمود، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، ط 1972، ص 112، ص 113.

⁵ جون ماكليش : من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر ، ص 187.

بالطبيعة الإنسانية بوجه عام له كهف أو مغارة خاصة تعمل على كسر أضواء الطبيعة وتغير من ألوانها، وذلك راجع إما لطبيعة الفرد الخاصة أو إلى تربيته وثقافته أو إلى الكتب التي يقرأها¹ تلك الأخطاء التي يقع فيها المرء بحكم طبيعته الفردية الناقصة، فكل فرد يمتلك كهفا خاصا به ينظر من خلاله إلى العالم، ولذا فإن العقل كذلك ملحوظ بالميول والاتجاهات المفرطة التي تسرى في اتجاه واحد كما هو الحال في منطق أرسطو، وعليه فإنه سرعان ما يقع في فخ التناقضات لأنه يحمل مبدأ الشك في الطبيعة البشرية². ويذكر بكون أمثلة لهذه الأوهام فيرى أنها العوائد التي يكتسبها العقل بفعل التربية والنشأة الاجتماعية، وهي مألوفات مسلمة مانعة لاشتغال التفكير، وعليه فهذه الأخطاء وليدة لعادات المجتمع وتقاليد، ووليدة تدخل عوامل من قبيل الوراثة والتربية والعادات والظروف، لذلك فهي تعتمد على مبادئ النسبية، والضعف، والسلبية، والقصور الذاتي، وقد يغالى بعض الناس عادة في التشابهات بين الأشياء، بينما يغالى البعض الآخر في الاختلافات بينها، ولذلك يقرر بكون أن ما يحيط بالفرد من ظروف العيش وملابس الحياة ومقومات الشخصية الإنسانية كل ذلك يحصر عقله في إطار معين من التفكير ويفرض عليه نوعا من العزلة حتى كأنه في واد ناء أو كهف سحيق³.

وقد ذهب إلى مثل ذلك الفارابي وذلك خلال تمييزه بين المعرفة الحقيقية المبنية على الاستقراء والتدبر وبين الانطباعات الشخصية التي تخضع بطبيعتها للأهواء الخاصة والحكم الكلي عند الفارابي لا يصدق إلا إذا كان وليد فحص واستبيان واستقراء ومن أقواله في ذلك "إنا نعلم يقينا أنه ليس شيئا من الحجج أقوى وأحكم من شهادات المعارف المختلفة بالشيء الواحد واجتماع الآراء الكثيرة، إذ العقل عند الجميع حجة، ولأجل أن ذا العقل ربما يخيّل إليه الشيء بعد الشيء على خلاف ما هو عليه من جهة تشابه العلاقات المستدل بها على حال الشيء احتيج إلى اجتماع عقول كثيرة مختلفة، فمهما اجتمعت فلا حجة أقوى ولا يقين أحكم من ذلك، لأن العقل الواحد ربما يخطئ في الشيء الواحد لا سيما إذا لم يتدبر الرأي الذي يعنقه مرارا ولم ينظر فيه بعين التفقّيش والمعادنة، وأن حسن الظن أو الإهمال في البحث قد يعمى ويخيّل، وأما العقول المختلفة إذا اتفقت بعد تأمل منها وتدبر وبحث وتفقير ومعاندة... فلا شيء أصح مما اعتقدته وشهدت به واتفقت عليه، وينبغي أن تعلم أن ما من ظن يخطئ أو سبب يغلط إلا وله داع إليه وباعث عليه"⁴

ولقد تكلم "إخوان الصفا" عن هذا النوع من الأوهام أيضا وقالوا إن هناك أفكارا انطبعت في عقل الإنسان منذ صغره، وتربى عليها، وأما أنه تعود على مشاهدتها أو سماعها، وهو يحاول أن يصل إلى قوانين عامة، أو أفكار كلية تنغرس في عقله، ومع أن هذه الأفكار أغلبها خاطئة، إلا أن الإنسان يؤمن

¹ Francis Bacon : Novum Organum . P : 54

² Francis Bacon : A selection Of His Work , P: 16

³ حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، ص 57.

⁴ أبو نصر الفارابي: الجمع بين رأي الحكيمين، مطبعة الكتبي، القاهرة، دت، ص4.

بها ويصدقها ، ليست لأنها صادقة ، بل لأنه تعود عليها وتربى . ومثال ذلك أن هناك من تعود اعتناق ديانة من الديانات (كما حدث في الجاهلية قبل بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم) فلقد كان العرب يعبدون الأصنام حتى عندما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق ، ورغم وجود البراهين العقلية على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم إلا أنهم وجدوا صعوبة في تصديقه وترك عبادتهم القديمة التي تربوا عليها .

وبالإضافة إلى ذلك ، نبه أبو حامد الغزالي إلى هذا النوع من الأوهام - قبل فرنسيس بيكون - التي تعوق العقل وتبعده عن الصواب ، ونبه من الوقوع فيها بقوله " فان المطيع القاهر لشهواته المتجر الفكر (عندما يريد التفكير) في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق له من الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن ، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهرة التقليد ... بل أكثر الصالحين المفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليديه جسدت نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين إدراك الحقائق " ¹ ويؤكد الغزالي في هذا السياق على المعتقدات الخاصة والميول والرغبات التي توجه النفس وتقودها إلى معارف متوهمة اعتقاداً منها بأنها حقائق يقينية ويرى الغزالي أن سبيل الخروج من هذا الدرب الوهمي هو الاعتماد على الذات الواعية في استجلاء الحقائق بمنأى عن الهوى أو العاطفة ويضيف أن إرضاء غرائز الإنسان على حساب الشخصية ككل هي التي تجعل من المتعذر عليه متابعة غاياته الصحيحة إذ إنها تضعه في موضع التجربة ²

ثالثاً: أوهام السوق:

أوهام السوق هي أخطاء تنشأ عن وسائل الاتصال الإنساني ، ومن خصوصيات اللغة :فالكلمات لا تنقل دائماً بالمعنى الصحيح ،ومن ثم فإنها تعمل غالباً على تشويه المعرفة ويُساء استعمال الكلمات خاصة عندما تشير هذه الكلمات إلى أمور لا توجد في الواقع وإنما هي محض تجريدات مشوشة، ويعاني المكتشف من التعارض عندما يضطر إلى تغيير معنى الكلمة أو توظيفها بمعنى جديد يعتقد بعض الناس أنهم يتحكمون بالكلمات مع أنه من المؤكد أن بعض هذه الكلمات مثل « قوس التتر » هي من النوع الذي يتجاوز فهم أكثر الناس حكمة إذ إنها تعوق الحكم وإبداء الرأي. ³

ويتحدث بيكون عن أوهام السوق فيرى أنها أخطاء يقع فيها الإنسان نتيجة استخدام الخاطئ للغة، أو نتيجة لغموض اللغة أو التباسها، وهي تنشأ من اجتماع الناس، واحتكاكهم مع بعضهم البعض، وهي تتعلق باللغة المشتركة بين الناس، وبألفاظها المبهمة ،كما أنها تقف حاجزاً أمام الفهم الصحيح للوجود، وأما

¹ أبو حامد الغزالي ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ،تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، د ت، ص74.

² علي عيسى عثمان: الإنسان عند الغزالي، تعريب: خيري حماد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ت، ص113.

³ جون ماكليش : من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر ، ص 187.

خطرها الفكري فيكون كبيراً على طريقة التفكير العامة نظراً لشيوع العديد من الألفاظ الشائعة التي تقتصر إلى الدقة والتحليل والإيضاح ، يقول بيكون " إن هذا النوع من الأوهام مستمد من التجارة وعملية التبادل التي تتم في السوق، وهو مكان اجتماع الناس وتبادل الحديث بينهم في المعاملات بعضهم البعض، وفي أغلب الأحوال تتعلق بالحديث عن طريق اللغة، وأن كثيراً من التفسيرات والتعاريف العلمية تنطوي على مجادلات لفظية تتسبب فيها اللغة، ولما كانت ألفاظ اللغة المستعملة مبهمة وغير دقيقة فإنها تكون مصدراً لكثير من الأخطاء العلمية، وستكون النتيجة أن يمعن الناس في الجدل وأن تزداد حدة اختلافاتهم وكذلك منازعاتهم بسبب غموض هذه الألفاظ المستخدمة".¹

وأضاف بيكون أن هذا النوع من الأوهام " يعد أشد أنواع الأوهام خطورة، وأصعبها تعقيداً، وأكثرها غموضاً، لأنها تؤدي إلى ضعف المعرفة البشرية، بالإضافة إلى أن من أهم أسبابها هو درجة الغموض التي تحتوى عليها الكلمات المشوشة التي لا معنى لها ، والاختلافات الواضحة بين الأشياء".² ، ونجده يقول في ذلك " إن أصنام السوق هي الأكثر خطراً على العقل الإنساني ويكون سببها ألفاظ البشر وما يخرج من أفواههم من الكلمات والأسماء، التي تكون سبباً لتلك النزاعات والخلافات التي تحدث بين العلماء ، بل إن الكثير من الألفاظ تكون مناهضة تماماً لفهم فلا يقبلها العقل ولا التفسيرات الفلسفية تقبلها أيضاً ، وهذا يسبب كثيراً من الخلافات والقصص الفارغة التي يحكيها هؤلاء الرجال الذين اعتادوا على ممارستها بكلمات غير واضحة، وهذه الألفاظ أشبه ما تكون بالألاعيب السفطائية التي تنطوي على الأغاليط الفاسدة والمغالطات المنطقية التي تجعل من الحق باطلاً، ومن الباطل حقاً، وقد حذر علماء الرياضيات من استخدام ألفاظ اللغة وضرورة استخدامها الأمثل والصحيح، لأن السبب الرئيسي والخلاف القائم بين الجدليين والمحاورين سببه استخدام كلمات اللغة بشكل خاطئ".³

وما دامت هذه الأوهام بسبب اللغة، فعلياً توخي الحذر، والدقة في استخدام الألفاظ وتحديد معانيها، حتى تكون مدلولاتها واضحة لا لبس فيها. وهذا ما جعل العلماء والمناطقية يبحثون عن لغة جديد للعلم ، تصاغ بها القوانين العلمية ، ومن ثم فقد أشار المفكرون العرب المسلمون وعلمائهم لهذا النوع من الأوهام، خصوصاً عند إخوان الصفا فيقولون فيها " اعلم يا أخي بأن أهل كل صناعة (علم) يحرصون علي حفظ أنفسهم من الخطأ في صناعتهم ، وذلك عن طريق أن يحفظ العالم أقاويله من التناقض ... واعلم يا أخي بأن أهل كل صناعة إذا لم يكن لهم أصل صحيح في صناعتهم فإنه لا يمكن أن يتجنب الخطأ ، وذلك لأن من لا يحس بالتناقض في أقاويله ، فكيف يوثق به في أرائه واعتقاده " ⁴ ، ويدعمون رأيهم بالأمثلة فيقولون " ومثل من يعتقد بأن المكان جسم أو عرض حال في الجسم ، ثم يعتقد أنه يبطل الجسم ويبقي

¹ Francis Bacon : Novum Organum , P . 56

² Anthony Quinton : Renaissance Thinkers, Oxford , New York, 1990, P :152

³ Francis Bacon : Novum Organum , p : 56

⁴ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا ، م3 ، ص172-175 .

المكان فارغا . ومثل من يقول: إن الجزء لا يتجزأ. ثم يعتقد بأن له ست جهات، وهو يشغل الحيز، وما مشاكل ذلك إلا من الأقاويل المتناقضة و الآراء الفاسدة " ¹.

وهنا يؤكد "إخوان الصفا" علي أن هذا النوع من الأوهام يؤدي إلي التناقض ويوصلنا إلي الوقوع في الخطأ، فعلي الإنسان أن يدرك بأن لغته إذا تناقضت توصله إلي الزلل في صناعته - أي علمه - ، وتبعده عن الحقيقة التي يسعى إليها ، فيقولون "إخوان الصفا أيضا" واعلم بأن قولهم طاقة الإنسان ، هو أن يجتهد الإنسان ويتحرر من الكذب في كلامه وأقاويله ، ويتجنب الباطل في اعتقاده ، ومن الخطأ في معلوماته ، ومن النقص في صناعته ... ولا يقول إلا الصدق ولا يفعل إلا الخير " ² ، ومن هذا النص نستطيع أن نعرف أن إخوان الصفا قد نادوا بالأمانة العلمية والموضوعية والصدق في الأقاويل ، والتحري في الألفاظ .

وإلى مثل ذلك ذهب الفارابي وذلك خلال نقده للمصطلحات التي يستخدمها العوام دون إدراك منهم بماهيتها ومعانيها فتختلط في ذهن دلالاتها وتسبب الوهم المعرفي ويقول في ذلك:

"إن ماهية الشيء الكاملة إنما هي بصورته إذا كانت في مادة ملائمة معاضدة على الفعل الكائن عنها. فإن كان كذلك فإن الفطرة التي كان الناس يعنون بقولهم الجوهر إنما هي ماهية الإنسان والتي بها الإنسان إنسان بالفعل فإذاً إنما يعنون بالجوهر ماهية الإنسان كان ذلك جوهر زيد أو آبائه أو جنسه وأيضا فإنهم يظنون أن آبائه وأمهاته وجنسه الأقدمين هم مواده التي منها كون، ويظنون أن مواد الشيء متى كانت جيدة كان الشيء جيدا فهم يعنون بالجوهر ههنا أيضا مواد الشيء ويرون أن ماهية الشيء بمادته فقط، وآخرون يرون أنها بأجزاء ماهية" ³

فوظيفة اللغة عند الفارابي عموما هي تقرير الوقائع واستطارة الانفعالات والتعبير عنها وإدراك الفضائل وأفعال الخير وفعلها والتأثير والتعبير عن المشاعر الذاتية التي يمر بها الإنسان والقدرة على توجيهها. ⁴

رابعا: أوهام المسرح:

يرى فرنسيس بيكون أن هذا النوع من الأوهام ينشأ نتيجة ميلنا إلى المعتقدات والمذاهب الفلسفية الخاطئة، أو من خلال التأثير بشخصيات قديمة، مثل الفلاسفة والعلماء دون التدقيق أو إعادة النظر في نظرياتهم وأفكارهم، والتحقق من صدقها. ودون أن يوجهوا لها أدني انتقاد، بل علي العكس من ذلك يتعصبون لها ولا ينظرون إلى الحقيقة إلا من خلالها ، وهذا ما يحجب عنهم الحقيقة ، ويسمونها فرنسيس بيكون أوهام المسرح فيقول " ونحن نسمي هذه الأوهام بأوهام المسرح ، وذلك لأننا نعتبر كل المذاهب الفلسفية التي تلقيناها أو تخيلناها حتي الآن ، مثل كثير من المسرحيات التي تقدم علي المسرح وتمثل ، تخلق عوالم

¹ المصدر السابق: ص 426

² نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة.

³ أبو نصر الفارابي: الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1990، ص 99، ص 100

⁴ عبد الحميد درويش: نظرية المعرفة عند الفارابي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، 2007، ص 100

وهيمه ومسرحية "،¹ وعلي هذا الأساس فإن فرنسيس بيكون يري أن السبب في وجود هذا النوع من الأوهام التي يجب أن نحذر منها ، هو التصديق الكامل بكل ما يرد إلينا من العلماء والفلاسفة ، والشخصيات العامة المؤثرة في المجتمع . والاعتقاد بهم والتسليم بأفكارهم وأقوالهم ونظرياتهم، من غير أن نخضعها للتحقيق والتجربة. فمثلاً التصديق بكل ما وصلنا من فلاسفة اليونان، والإيمان بنظرياتهم دون إعادة النظر فيها، والسبب هو أن قائلها مشهور فحسب، وليس لأنها صادقة إذا ما أخضعناها للعقل.²

إن فآوهام المسرح عند فرنسيس بيكون لا تخص الفرد ذاته، بقدر ما هي متأصلة في فكره نتيجة تأثره بالآخرين، فقد يميل الإنسان لنوع من الأنظمة الفلسفية أو الأحداث الجارية في الطبيعة، أو أيا من القصص والروايات المسرحية وقد يتقبل إحداها ويرفض الأخرى أو العكس، لأن معظم الفلاسفة تبنا كثيراً من دراسات الفلاسفة والعلماء ومشاهير المفكرين وتأثروا بها، لكن نتيجة لهذا التأثير بفكر السابقين ومذاهبهم التي فرضت على الأذهان منطقاً مزيفاً أو كنتيجة لاحترام وجهة نظر القدماء إلا أنها بدت خاطئة ، ويبين بيكون خصائص تلك الأوهام فيقول في موضع آخر " إن أصنام المسرح ليست فطرية، ولا تأتي خافية للإنسان، ولكن تطراً على العقل نتيجة التأثير بمذاهب الفلاسفة القدماء الذين يفسرون الطبيعة حسب تصوراتهم ومقولاتهم، ومن القوانين الظاهرة للطبيعة، ومن القصص الفارغة من المعنى، بل إن الإنسان يستدل عليها من خلال تجارب تعتمد على الخيال وقوة الذكاء لإكمال الباقي، ومن تم علينا أن ننتبه إليها عن طريق دحض الطوائف والانقسامات العامة للنظريات العلمية التي إذا ما كانت خاطئة، فيجب تقييدها " ³

وهذا يعني أن أوهام المسرح تنتسب إلى عقول الناس نتيجة عدة عوامل منها "معتقدات الفلسفة المختلفة، وقوانين البرهان الخاطيء، وتضارب المذاهب الفلسفية وانقسامها على اختلاف مذاهبها، وشيوع الخرافات والشائعات والتسليم بآراء مشاهير المفكرين دون نقد أو تمحيص، والاعتقاد في صدق الفلسفات القديمة بما تحويه من نظريات فاسدة وما تتطوي عليه من مغالطات وسيطرة النظريات القديمة على العقول مما يجعلها لا تكشف الحقيقة ومصدر هذه النظريات هم الفلاسفة القدماء "، ولذا فالإنسان وفقاً لهذه المعايير لا يصدق إلا من خلال ما يقوله هؤلاء ويركن إلى أفكارهم الأمر الذي ترك أثره بالخطأ نتيجة اعتقاده بصدقها والإيمان بها، إذن وفقاً لهذه الأوهام "فنحن نعتقد في صدق كل ما يرد إلينا من أقوال العلماء والفلاسفة والشخصيات العامة المشهورة والإيمان بصدقها دون التحقق منها ، فمثلاً الاعتقاد في صحة وصدق الآراء التي وردت إلينا من فلاسفة اليونان والتصديق بها دون النظر فيها وذلك لشهرة قائلها وليس لأن العقل يشهد على صدقها " .⁴

¹ Francis Bacon,., The New Organon.p49

² حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، ص 126

³ Francis Bacon : Novum Organum P : 66

⁴ وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2005، ص68، ص69.

وقد أشار فلاسفة الإسلام لهذا النوع من الأوهام ، فنجد إخوان الصفا ينددون بها فقالوا " انساق بعض الأفكار التي يمكن أن تكون كاذبة وذلك لان قائلها إنسان موثق فيه ومشهور ، فيؤمن بها من يستمع إليه، ولا ينتبه لما فيها من أخطأ ،ومثال ذلك هناك من يدرسون الفلسفة ويتوهمون أن الأرض ثقيلة قياسا علي ما وجدوه من ثقل في بعض أجزائها ،ومن ثم يجب أن لا تؤمن بأي رأي إلا بعد فحصه وامتحانه وليس لكون قائله إنسان مشهور، وتجنب هذا الظن والأوهام التي يمكن أن يقع فيها الإنسان العادي أو العالم سيجنبه الخطأ ويمكن أن يكون أقدر علي الوصول إلي الحق " .¹ وهكذا فإن إخوان الصفا سبقوا فرنسيس بيكون بقرون في الكشف عن هذه الأوهام وحذروا من الوقوع فيها

وأشار لها أيضاً الحسن ابن الهيثم في شكوكه على "بطليموس" فيقول " الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده، و وجود الحق صعب، والطريق إليه وعر، ... وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس ...وما عصم الله العلماء من الزلل، ولاحمي علمهم من التقصير والخلل، ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الأمور، والوجود بخلاف ذلك، فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم " .² وهذا يعني أن ابن الهيثم يرفض قبول ما جاء في كتب المتقدمين إلا بعد الفحص والتحقيق من صدقه، كما يطلب من الباحث فيها أن ينظر إليها بعين الخصم الذي يهتم بكل ما جاء فيها سواء في حاشيتها ، أو في متنها على أن يحرص أن لا يكون متحاملاً عليها ، وأن لا يكون متسامحاً في إظهار عيوبها وأخطائها . وبهذه الطريقة فقط تنكشف حقيقتها ويظهر قصورها. وإن كانت انتقادات ابن الهيثم لبطليموس تعد ثورة فكرية. لان الكثير من الناس سلموا بأفكاره تسليماً لا يرتقي إليه الشك، إلا أن ابن الهيثم قد كشف لنا عن تناقض كبير عند بطليموس، ومثال ذلك مشكلة دوران الأرض التي قال بها ابن الهيثم مخالفا لما قال بطليموس والتي سبق إليها ابن الهيثم "كوبرنيكس" بقرون.

وبالإضافة إلى ذلك ، أشار إليها الغزالي فكان موقفه أشد حزماً ورفضاً للأفكار والفلسفات القديمة وبخاصة اليونانية ، لأنه يرى أن الفكر القائم علي التقليد يعد مشكلة كبيرة ، وهاجم معاصريه من العرب المسلمين (الفلاسفة) وكتابه " تهافت الفلاسفة " كان ثورة على الفلسفات القديمة وأهلها ، بل وحتى أتباعها حتى لو كانوا من أبناء عصره ودينه ، - كما فعل فرنسيس بيكون- الذين وقعوا تحت تأثير فلاسفة اليونان وعلى رأسهم أرسطو ، من غير فحصها ، والتأكد من صحتها ، فوجدهم الغزالي قد وقعوا تحت تأثير أسماء لامعة لأفلاطون وأرسطو ، فتباهاوا أمام عامة الناس بتفوقهم العقلي ، وهم بذلك كما يقول الغزالي في ضلال كبير ، يفوق الضلال الذي يقع فيه العامة . لأنهم مقلدون قد حجب عنهم الحقيقة، فلا ينكشف في قلوبهم خلاف ما تلقوه من ظاهرة التقليد إذ يقول " وهذا أيضاً حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين والمتعصبين

¹ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا ، م3 ، ص426

² الحسن ابن الهيثم : الشكوك على بطليموس ، ص 3 - 4 .

للمذاهب بل أكثر الصالحين المفكرين في ملكوت السماوات والأرض لأنهم محبوبون باعتقادات تقليدية جسدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين إدراك الحقائق " .¹

ونبه "جابر ابن حيان" في المقالة الأولى من كتابه "الخواص الكبيرة" لمثل هذا النوع من الأوهام فيقول " ويجب أن نعلم أننا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناها فقط، دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه . فما صح عندنا - بالملاحظة والتجربة - أوردناه، وما بطل رفضناه، وما استخرجناه نحن أيضاً - اكتشفناه - وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم"،² وهذا دليل على أن العلماء العرب أيضاً عرفوا هذه الأوهام التي توقع في الخطأ، وجعلوا من التجربة ميزاناً يتحققون بواسطته من صحة وصدق ما وصل إليهم من تراث اليونان، فما أثبتته التجربة أخذه وما فندته التجربة الحسية رفضوه، وهذا الأسلوب المقارن لم يذكره ببيكون الذي رفض التراث القديم برمته عدا بعض الأساطير التي تنبأها وفسرها حسب رغبته .

كما ذكر ابن طفيل هذا النوع من الأوهام التي ينشأ عليها الإنسان ويصدقها مع أنها خرافات، وشن عليها هجوماً عنيفاً بقوله " زعم قوم أن الفلك و النجوم تعقل ، وأنها ترى وتسمع ... وهذه دعوة بلا برهان ... وليس للنجوم تأثير على أعمالنا ولا لها عقل تدبرنا به ، إلا إذا كان المقصود تدبرنا تدبيراً طبيعياً كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء ، نحو ما نراها في المد والجزر كتدبير الشمس في عكس الحر وتصفيد الرطانات (التبخر) والنجوم لا تدل على الحوادث المقبلة " ،³ ويرى ابن طفيل أن المجتمع هو الذي يطغى على الفرد ، ويعطل ملكاته الفكرية ، ويمنعه من الكمال والوصول إلى أرقى درجات الرفعة، وتحصيل المعرفة ، لأنه بغرقه رذائله وأهوائه ، ومتى تخلص الإنسان من هذه القيود استطاع أن يبدع ، وأن يسمو بفكره ، ويصل إلى الحقيقة . وهذا لا يعني - حسب ابن طفيل - أن تعزل نفسك عن الناس (مثل حي بن يقظان) ولكن أن نسيطر على شهواتنا ، وأن لا ننجر وراء الأفكار السخيفة التي لا جدوى منها . ولو أن الناس جميعاً قد رفضوها لوصلوا إلى المعرفة الحقيقية والكمال.⁴

وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن فرنسيس بيكون قد حدد الأسباب التي تعيق العقل عن الوصول إلى المعرفة الحقيقية، ونبهنها إلى خطورتها وحذرنا من الوقوع فيها. فمن الضروري قبل كل شيء أن نطرحها وننتحرر منها ، وتعد هذه الخطوة هي بداية الطريق نحو منهج سليم، يكون العقل فيها طاهراً نقياً، وهذا هو ما يسمى الجانب السلبي في منهج فرنسيس بيكون الذي يقول في نهايته " فبعد أن تناولت بإمعان طبيعة كل نوع من هذه الأوهام ، وبعد بيان خصائصها وما أهميتها ، وأنواعها المختلفة ،وهي كلها أوهام يجب التخلص منها ، والتخلي عنها بعزيمة صادقة ، وإرادة قوية ، كما يجب تحرير العقل وتطهيره منها ، حتى

¹ محمود حمدي زقزوق : المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1973، ص 36

² توفيق الطويل : في تراثنا العربي الإسلامي ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1985م ، ص 18

³ عمر فروخ : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، بدون دار نشر ، بيروت - لبنان ، ط2، 1969م ، ص 88

⁴ نفسه المرجع السابق ، ص 89

يكون نظيفاً ، حتى يمكننا دخول مملكة الإنسانية التي تقوم علي العلوم ، متقدماً بدخول مملكة السماء التي لا تفتح بابها إلا للأطفال¹، ويقصد هنا الذين لم تتلوث عقولهم بتلك الأوهام التي تذهب العقل عن الطريق الصحيح.

ويعقب وليم كلي رأيت على نظرية الأوهام عند فرنسيس بيكون بقوله: "وعندما نراجع الأنماط الأربعة من الأوهام عند بيكون ندرك أنه بين بحق مصادر أربعة مختلفة للخطأ لابد من تجنبها في تفكيرنا. ومع ذلك فإننا نجزع في البداية عندما نفكر في أن تلك الأوهام هي أيضا المصادر الرئيسية لمعرفةنا. فنحن لا نستطيع أن نلاحظ إلا عندما نستخدم المصادر الذهنية المشتركة للبشرية، أو باستفادتنا من أي مواهب غير عادية قد نكون محظوظين بدرجة كافية بامتلاكها كأفراد. إننا لا نستطيع أن نستدل، إلا في المجالات المجردة الخالصة للرياضيات والمنطق الرمزي بدون استعمال الكلمات وإذا أراد الفيلسوف أن يفهمه الناس، يجب عليه أن يستخدم الكلمات في صورتها الشائعة، ولا يخترع رطانة أعجمية خاصة به. ولا يستطيع إنسان حديث أن يرفض تماما كل ما أنجزته الفلسفة في الماضي وأن يحاول أن يبدأ بداية جديدة تماما... إننا مضطرون إلى أن نلفت النظر إلى المصادر الأربعة كلها التي - عندما يساء استخدامها- تسبب الأوهام. ولو كان بيكون قد توقف هنا، لكان قد قدم بحق تحذيرا مفيدا ضد الأسباب الرئيسية للخطأ، ولكنه فعل ما هو أكثر قليلا لكي يضعنا على الطريق الصحيح في البحث عن الحقيقة. بيد أن بيكون فعل ما هو أكثر من ذلك كله، فقد قدم لنا منهاجاً جديداً أعني صياغته للاستقراء"²

ويمكننا أن نخلص مما تقدم إلى أن هذه الظنون والأوهام ليست من اكتشاف فرنسيس بيكون ، بل من الممكن أنه قد اطلع عليها في كتب العرب المسلمين وبخاصة "إخوان الصفا" لأنهم ذكروها في رسائلهم وبنفس الاسم أو المصطلح الذي ذكرها به فرنسيس بيكون وكانوا يقولوا عنها "واعلم يا أخي بان الإنسان لا ينفك من هذه الظنون و الأوهام ، لا العقلاء المثقفون ، ولا العلماء المرتضون ، ولا الحكماء المتفلسفون أيضاً "³ فالكل معرضون لهذه الأوهام إذا لم ينتبهوا إليها ويحذروا منها وإلا إنهم سوف يقعوا في الخطأ ولن يصل العقل إلى تحقيق ما يصبوا له الإنسان في السيطرة على الطبيعة وتسخيره لمصلحته، بل ولن يصل إلى أي معرفة .

¹ Francis Bacon : Novum Organum P : 53

² وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص69

³ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا م3 ، ص435

الخاتمة

نستطيع أن نلخص بحثنا هذا في مجموعة من النتائج وهي موزعة على حسب تقسيمنا لهذا البحث وهي:
 أولا أوهام القبيلة: وهي الأوهام التي تكون منغوسة في طبيعة كل البشر بل هي جزء منها لأنها طبيعة ناقصة تعتمد على العواطف والانفعالات والحواس التي تخدعنا كالבصر الذي يرى الأشياء البعيدة صغيرة مع أنها في الحقيقة غير ذلك ، وقد اتفق فرنسيس بيكون مع الفلاسفة المسلمين في هذا النوع من الأوهام مع أنهم زادوا عليه أن الطبيعة الإنسانية تميل إلى الشك وعدم الثقة في الخبرات المتراكمة ، كما أن القبيلة أو المجتمع والمحيط العائلي الذي يعيش فيه الإنسان يكسبه معارف وأفكاراً قد تكون غير صحيحة ولكن الإنسان يتشبه بها ويعتقها وتصبح جزءاً من طبيعته، وعلى هذا يمكننا أن نقول بوجود اتفاق بين مفكري الإسلام وفرنسيس بيكون في أوهام القبيلة.

ثانياً أوهام الكهف: وهي تلك التي تكون خاصة بكل فرد منعزلاً بها عن غيره من الأفراد أي أن لكل إنسان كهفاً خاصاً به يختلف بطبيعته وأفكاره عن الآخرين من بني البشر ، على أساس أن هناك ظروفًا تدخلت في تكوين شخصيته ولم تكن متوفرة في غيره ، وكذلك الاختلافات في القدرات الذهنية بين شخص وآخر ، كالإختلاف في الذكاء وسرعة البديهة و الانفعال والتسرع والتركيز ، فالبشر وإن كانت لديهم نفس القدرات والامكانات العقلية و الحسية إلا أنهم لا يتفوقون في القدرة على استخدامها أو تسخيرها أو التحكم فيها ، وكذلك اتفق فرنسيس بيكون في هذا النوع من الأوهام مع ما قاله مفكرو الإسلام في هذا النوع من الأوهام أو الأصنام كما يسميها أحياناً.

ثالثاً أوهام السوق :وهي تلك الأوهام التي تحدث بسبب اللغة الغامضة التي يستعملها البشر في مجادلاتهم ومعاملاتهم تماماً كما يحدث في الأسواق واللغة التي يستعملونها فيما بينهم دون الانتباه إلى تحديد معانيها ودقتها ، فعلينا أخذ الحذر في تحديد مفردات اللغة وعدم الوقوع في سوء الفهم واختلاط المعاني ، ذلك لأن اللغة تعبر عن معانٍ يجب أن تكون واضحة ، هذا ما قاله مفكرو الإسلام و ما قاله أيضاً فرنسيس بيكون عندما وصفها بلغة السوق التي تتم بها التجارة بين الناس ، وهي لغة غامضة متناقضة تجعل الإنسان يقع في الخطأ نتيجة لتعدد المعاني في الكلمة الواحدة وتعدد الكلمات للمعنى الواحد .

أوهام المسرح : هي التي تتسرب إلى عقول الناس نتيجة عدة عوامل منها معتقدات الفلسفة المختلفة، وقوانين البرهان الخاطئ، وتضارب المذاهب الفلسفية وانقسامها على اختلاف مذاهبها، وشيوع الخرافات والشائعات والتسليم بآراء مشاهير المفكرين دون نقد أو تشكيك في صحتها ، وذلك لثقتنا العمياء في أصحابها و إعجابنا بهم ، بل تعلقنا بهم كأنهم نجم على المسرح ، ولهذا يري فرنسيس بيكون أن علينا التحرر من نظريتهم والتعلق بهم والشك في تراثهم الفكري الذي ورثوه لنا وهذا ما فعله مفكرو الإسلام قبل يكون بقرون وكتبهم في ذلك كثيرة (كالشك على بطليموس) وانتقاداتهم للفلاسفة اليونان و رفضهم للكثير من نظرياتهم الفلسفية لأن هذه الأفكار قد توقعنا في الخطأ والزلل .

المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

- 1_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: عبدالحليم محمود، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، ط7، 1972.
- 2_ أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، دت.
- 3_ أبو حامد الغزالي: معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1961.
- 4_ أبو نصر الفارابي: الجمع بين رأي الحكيمين، مطبعة الكتبي، القاهرة، دت.
- 5_ أبو نصر الفارابي: الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1990.
- 6- الحسن ابن الهيثم، الشكوك على بطليموس، تحقيق: عبدالحميد صبره، تصدير: إبراهيم مذكور، دار الكتاب المصرية، القاهرة، دت.
- 7- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، الرياضيات الفلسفيات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1996.
- 8- توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م.
- 9- جون ماكليش: من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، ترجمة: خضر الأحمد، موفق دعبول، مراجعة: عطية عاشور، سلسلة عالم المعرفة، العدد 251، 1999.
- 10- حبيب الشاروني: فلسفة فرنسيس بيكون، "مقتطفات من الأورجانون الجديد"، دار الثقافة، القاهرة، 1981.
- 11- عبد الحميد درويش: نظرية المعرفة عند الفارابي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، 2007.
- 12- عزمي إسلام: مقدمه لفلسفة العلوم، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1977م.
- 13- علي عيسى عثمان: الإنسان عند الغزالي، تعريب: خيري حماد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت.
- 14- عمر فروخ: عبقرية العرب في العلم والفلسفة، بدون دار نشر، بيروت - لبنان، ط2، 1969م.
- 15- محمود حمدي زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973.
- 16- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2005.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- 1- Anthony Quinton: Renaissance Thinkers, Oxford, New York, 1990.
- 2- Francis Bacon: Novum organum, Edited By, Peter Urbach, and John Gibson, Chicago and La Salle, Minos, 1994.